

تمكين المرأة العراقية في التنمية البشرية بين الواقع والطموح[∇]

Empowering Iraqi women in human development between reality and ambition

م. حسين خليل ابراهيم**

أ.م. د اثمار شاكر مجيد الشطري*

Hussein Khalil Ibrahim

Athmar Shakir Majeed

الملخص.

عاش المجتمع العراقي في ظروف في غاية الصعوبة لاسيما بعد عام 2003 وما نتج عنها من آثار سلبية انعكست على نحو واضح على دور المرأة ومدى تمكينها في مجالات الحياة المختلفة ، اذ تراجعت مكانة المرأة وآخذت تعاني من مشاكل كبيرة في الحصول على حقوقها المسلوبة، على الرغم من جود منظمات وهيئات دولية تدعم حق المرأة ، لكنها في المجتمع العراقي لازالت تسيطر عليها افكار السلطة الذكورية التي تحرمها من المشاركة في اتخاذ القرار وفي الحصول على مكانتها المرموقة، ولازالت النظرة الى المرأة هي نظرة دونية ومعززة بمعتقدات عشائرية ودينية، وبذلك واجهت المرأة العراقية هذا الواقع بكل قوة واثبتت للعالم انها رقما صعباً للمعادلة الاجتماعية ففرضت نفسها في الكثير من جوانب الحياة سواء أكانت السياسية او الاجتماعية، لذا يهدف هذا الموضوع الى التعرف على واقع المرأة العراقية واهم المعوقات التي تقف في عدم تمكينها في المجتمع. والتعريف بدور الامم المتحدة والمنظمات الانسانية في مجال دعم وتمكين المرأة. وتقديم مؤشرات احصائية على ضوء مقياس تمكين المرأة العراقية. وتوصل البحث الى مجموعة من النتائج منها ان المرأة العراقية تحتاج الى تمكين عام يشمل التنمية الشاملة بكل مفاصلها على المستويات المختلفة (كالصحة والتعليم والرعاية الاجتماعية والسكن والجانب الاقتصادي)، واتضح من البحث ان نسبة مشاركة المرأة في الحكومة لا زالت ضعيفة ، ولاسيما في الجانب السياسي فأن تمثيلها محدود جدا بمواقع بسيطة لا ترتقي الى مكانتها الحقيقية.

الكلمات مفتاحية: التمكين ، المرأة، التنمية ، التنمية المستدامة

[∇] تاريخ الاستلام : 2022/9/ 9 ، تاريخ القبول : 2022/10/25 ، تاريخ النشر : 2022/12/31.

* عميد كلية التربية للبنات - جامعة بغداد dr.athmarr@gmail.com

** تدريسي في جامعة بغداد - كلية التربية للبنات hussain.k@coeduw.uobaghdad.edu.iq

Abstract:

Iraqi society has gone through difficult conditions ,especially after 2003. These conditions have adverse effects on the role of women and the extent of their empowerment in various areas of life. Despite the presence of International organizations and bodies that support women's rights ,the status of Iraqi women within society is still dominated by the ideas of patriarchal authority that deprive them of participating in decision-making and obtaining prestigious positions. However, in spite of all the societal and tribal shackles, Iraqi women have succeeded in breaking down many of the social and political barriers and proving themselves as significant actors on several fronts of life.

Therefore, this study aims to identify Iraqi women's state and the most important obstacles that impede women's empowerment in society. Further, the study Introduces the role of the United Nations and humanitarian organizations in supporting and empowering women and provides statistical indicators in light of the scale of Iraqi women's empowerment. The research reached a set of results ,including that Iraqi women need general empowerment that includes comprehensive development in all its aspects at different levels (such as health ,education ,social care ,housing and the economic aspect). Its representation is very limited to simple sites that do not live up to their proper position.

**Keywords: empowerment, women, development, sustainable
development**

المقدمة:

لقد شهد المجتمع العراقي بتغييرات مهمة حول مكانه المرأة وادوارها المختلفة خلال العقود الاخيرة من القرن العشرين تمثلت في وصفها شريكاً في بناء المجتمع عن طريق جوانب وقضايا متعددة منها اختيارها لمناصب وزارية واستراتيجية ، وبما ان المرأة النصف المكمل للرجل في حركة البناء والتنمية ، لذلك فقد تم التوجه نحو التصدي للنظرة الاجتماعية الدونية لها من خلال تغيير واقعها وتحسين مستوى معيشتها وتطوير حياتها بزيادة وعيها ومداركها ورفع مستوى مشاركتها في عملية التنمية البشرية بالشكل الذي يعزز مكانتها ودورها الفاعل لكي تحتل موقعها الطبيعي والمشروع في المجتمع ، ومن ثم احداث التغيير المطلوب للواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للإنسان العراقي .

ومن الطبيعي ان الوصول الى المشاركة المثلى لتمكين المرأة في عملية التنمية البشرية يتطلب توفير مجموعة من المقومات منها كالتعليم والتدريب والوعي الاجتماعي والثقافي وتوفير قاعدة عمل اقتصادية تتوفر فيها فرص العمل المناسبة لها وعلى هذا الاساس اضحت قضية المرأة مرتبطة بالتنمية هدفاً يقوم على ضرورة الاهتمام بها بوصفها قوة منتجة وبصفتها مواطنة تقع عليها مسؤولية مشتركة نحو تنمية مجتمعتها فلا يمكن ان نحقق اي تقدم فعلي دون اشراك المرأة في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية .

واعتمد بحثنا على المنهج الوصفي التحليلي، ومن هذا المنطلق نحاول التعرف على محاور البحث اولاً: الاطار العام للبحث ثانياً: بيان مفهوم التمكين ومستوياته ومعوقاته ، ومفهوم التنمية البشرية والمستدامة وابرار مكوناته ومعوقاته، وثانياً تقديم رؤية تاريخية عن واقع مشاركة المرأة العراقية في العملية التنموية ، رابعاً تجربة المرأة العراقية بين التنمية والتمكين ولاسيما بعد عام 2003 وخامساً دور الامم المتحدة في تمكين المرأة ، سادساً تقديم مؤشرات إحصائية على ضوء مقياس تمكين المرأة.

مشكلة البحث:

عاش المجتمع العراقي في ظروف في غاية الصعوبة لاسيما بعد عام 2003 وما نتج عنها من آثار سلبية انعكست على نحو واضح على دور المرأة ومدى تمكينها في مجالات الحياة المختلفة ، اذ تراجعت مكانة المرأة وآخذت تعاني من مشاكل كبيرة في الحصول على حقوقها المسلوبة، على الرغم من جود

منظمات وهيئات دولية تدعم حق المرأة ، لكنها في المجتمع العراقي لازالت تسيطر عليها افكار السلطة الذكورية التي تحرمها من المشاركة في اتخاذ القرار وفي الحصول على مكانتها المرموقة، ولازالت النظرة الى المرأة هي نظرة دونية ومعززة بمعتقدات عشائرية ودينية، وبذلك واجهت المرأة العراقية هذا الواقع بكل قوة واثبتت للعالم انها رقماً صعباً للمعادلة الاجتماعية ففرضت نفسها في الكثير من جوانب الحياة سواء أكانت السياسية او الاجتماعية ،اذ نجدها في مقدمة المواقع الحكومية التي نجحت في اداء معظم الادوار المناطة اليها ، واثبتت انها ربه بيت وعاملة ناجحة في آن واحد ، هذا الواقع يتطلب جهوداً كبيرة لنصرة المرأة ودعمها وتمكينها في اداء هذه الواجبات الاساسية والانسانية التي لا بد من ان يكون هناك وعياً مجتمعياً يعترف بحقوقها واعطاءها الدور الاكبر الذي يحقق التوازن الاجتماعي الذي بدونه لا يمكن للمجتمع ان يستمر او ينجح في اداء مهامه، وتبقى المرأة في المجتمع العراقي الحلقة المهمة والاساسية في ديمومة الحياة الاجتماعية. وتتعلق مشكلة الدراسة من التساؤل الاتي: هل هناك مؤهلات شخصية يفضل توفرها في المرأة العراقية من اجل تمكينها وتمييزها لتتبو مواقع صناعة القرار مثل الثقافة العامة، الشهادة العليا، الخدمة الوظيفية الطويلة، الكفاية الادارية،؟

فرضية البحث: ان الفرضية الاساسية للبحث ان المرأة العراقية همشت ادوارها الاجتماعية والثقافية وبتراتبية دونية في ظل معايير ونظم وثقافات ذكورية، وللد من هذا التهميش والدونية لا بد من تمكينها وتمييزها لأداء دورها الطبيعي في المجتمع الذي يجب ان يقوم على التكامل والتأزر والانسجام مع دور الرجل.

اهمية البحث: تنطلق اهمية البحث في جانبين اولهما الجانب النظري الذي يسعى الى فهم الكتابات والنظريات التي اهتمت بموضوع البحث وتفسيرها تفسيراً علمياً بما يخدم البحث العلمي، وثانيهما الجانب التحليلي الذي يحلل واقع المرأة في المجتمع العراقي بالاعتماد على الرؤى العلمية المدعومة برؤية الباحث الذي يحاول ان يعطي صورة واضحة لما تعيشه المرأة من ظروف ومعاناة حقيقية في المجتمع العراقي.

اهداف البحث:

1- التعرف على واقع المرأة العراقية واهم المعوقات التي تقف في عدم تمكينها في المجتمع.

2- التعريف بدور الامم المتحدة والمنظمات الانسانية في مجال دعم وتمكين المرأة.

3- تقديم مؤشرات احصائية على ضوء مقياس تمكين المرأة العراقية.

منهجية البحث: اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقدم تحليلاً علمياً لواقع المرأة العراقية المعاش ، بالاعتماد على الادوات البحثية العلمية التي تعطينا معلومات دقيقة مدعومة برؤية الباحث وتصورات لموضوع البحث.

اولاً: مفهوم التمكين Empowerment

يدل لفظ التمكين في اللغة العربية على القوة والتقوية والتعزيز ويقال (مكن من الشيء) بمعنى جعل له عليه سلطاناً وقدرة⁽¹⁾ وقد وردت كلمة التمكين في القران الكريم في مواضع عديدة منها : قوله تعالى (انا مكننا له في الارض واتيناه من كل شيء سبياً)⁽²⁾

ويستند مفهوم التمكين على امتلاك الفرد للقوة ليصبح عنصراً فعالاً في مجالات الحياة ، بمعنى امتلاكه القعدة على احداث تغيير في طريق اخر قد يكون فرداً او جماعة او مجتمعا بأكمله او احداث تغيير في عنصر من عناصر الحياه المادية . ويفترض مفهوم التمكين تنمية الذات المشاركة وتطوير قدراتها وامكاناتها وفعاليتها ووجودها ولذلك فان مفهوم التمكين يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمفهوم تحقيق الذات او حضورها وتعزيز قدراتها في المشاركة والاختيار الحر⁽³⁾

ومفهوم التمكين من المفاهيم التنموية الحديثة بل هو جوهر كل تنمية شاع استخدامه بعد صدور تقارير التنمية البشرية خلال العقدين الاخرين ومن تعريفاته انه يعني منح قوه قد تكون قانونية او اضافة سلطة رسمية على هيئة معنوية او مؤسسية لتسهيل ادائها ويعني كذلك تأهيل المؤسسات وتعزيز دورها عن طريق تامين الوسائل وتوفير الفرص لتحقيق الاهداف التي تتشدها⁽⁴⁾

وعن تمكين المرأة : يعني فتح نوافذ وعي جديد بذاتها وتهيئة المجتمع لخلق تصورات جديدة عن ادوارها بمعنى ان التمكين يمثل عنصراً مهماً ف الرؤية الاستراتيجية التي تهدف الى

(1) المنجد في اللغو والاعلام , دار المشرق , المكتبة الشرقية , بيروت لبنان , 1986 , م , ص 771

(2) سورة الكهف , اية : (84)

(3) ياسين , احلام عبد الهادي , البعد البيئي التربوي في برامج تمكين المرأة الريفية (دراسة ميدانية تقييمية في محافظة اللاذقية) جامعة دمشق, كلية التربية , 2009 م, ص9.

(4) اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي اسيا (الاسكوا) بالتعاون مع البنك الدولي , معجم مفاهيم التنمية , بيروت , 2004 م,

التأثير الايجابي في منزلات المرأة ودورها على نحو يحقق لها مستوى افضل من المساواة وفرصا اوسع للاختيار والتمتع بالحقوق الانسانية وهذا يعني ان مفهوم التمكين يتجاوز المعاني التقليدية للتدريب كما يتجاوز المؤشرات الفنية لاكتساب خبرة معينة ليصبح نوعا من اعادة التنشئة⁽⁵⁾ وعلية فان مفهوم التمكين يعني التركيز على تنمية قدرة فهم الذات واستيعاب حقوقها وامتلاك امكانية الحوار الدفاعي لها على نحو يلهم المجتمع كلة مبدا احترام حقوق البشر نساء ورجالا وفي اية مساحة حياتية من مساحاته⁽⁶⁾.

ثانياً: التمكين أحد مكونات التنمية البشرية المستدامة

يقوم التمكين على ثلاثة مظاهر مترابطة هي⁽⁷⁾

اولها : مظهر القدرة على (Power to) وبموجبه يتم تمكين الفرد من المشاركة بنشاط في صنع القرارات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والآخر : مظهر القدرة مع (Power with) والذي يتضمن تمكين الفرد من تنظيم نفسه مع غيره من اجل تحقيق اهداف مشتركة وثالثها: مظهر القدرة في (power within) والذي يتضمن تمكين الفرد من ان يصبح اكثر وعيا وثقة بالنفس.

اما عن مستويات التمكين : فهناك خمسة مستويات أساسية للتمكين هي⁽⁸⁾

المستوى الأول : الذي يتضمن الخدمات الأساسية المتمثلة بالخدمات التعليمية والصحية ومستوى تامين الحاجات الغذائية ومستوى الدخل المتحقق

المستوى الثاني : يتمثل بسهولة الحصول على الموارد التنموية ووسائل الإنتاج المتوفرة في المجتمع مثل الأرض ، القروض ، العمالة ، والخدمات وممارسة الاعمال كافة لكسب مزيد من الفرص للحصول على النصيب العادل من الموارد المختلفة سواء على مستوى الاسرة او المجتمع.

⁽⁵⁾ مصطفى ، د. عدنان ياسين ، المجتمع العراقي وديناميات التغيير ، بيت الحكمة ، العراق ، بغداد ، 2011 م، ص 182_184.

⁽⁶⁾ وزارة التخطيط والتعاون الاممائي وبيت الحكمة ، التقرير الوطني لحال التنمية البشرية 2008، العراق ، بغداد ، 2009، ص152، 152، 152، ص 11. ص152 152 .

⁽⁷⁾ ياسين ، أحلام عبد الهادي ، البعد البيئي التربوي في برامج تمكين المرأة الريفية ، مصدر سابق، ص 39.

⁽⁸⁾ هديوه ، ندى سليم ، عوامل تمكين المرأة في النشاط الاقتصادي والاجتماعي (دراسة ميدانية في محافظة اللاذقية) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة دمشق ، كلية الاقتصاد ، دمشق ، 2006 م، ص 224.

المستوى الثالث: يتضمن عملية الادراك والوعي في التمكين ويعني التصدي للمعتقدات والممارسات السابقة مع أسبابها ومشاكلها الناتجة عن النظام الاجتماعي القائم.

المستوى الرابع : يشمل المشاركة في عملية تحديد الاحتياجات تعريف المشكلة تخطيط المشروع الإدارة التنفيذ والمتابعة والتقييم والانضمام الى المجتمع ومشروعاته والمشاركة في صنع القرار .

المستوى الخامس : يضم التحكم ويعني توازن القوى بين المرأة والرجل فلا يهيمن احدهما على الاخر فتبرز الفجوة من عدم المساواة في القوة الاجتماعية والاقتصادية بينهما

ثالثاً: تنفيذ التمكين (كيف ينفذ التمكين) ؟

تشير النظريات الحديثة ذات العلاقة الى ان البرامج الخاصة بالضبط الاجتماعي ووسائل توعية الفئات المعنية بالموضوع اجدى وانفع في احداث تغيير السلوكيات عن قوانين الدولة المختلفة مع ضرورة الاخذ بنظر الموضوع وجهات نظرا وارااء وخبرات الفئات المتضررة او المهشمة ذات العلاقة ومؤسسات المجتمع المدني الراعية لهذه الأمور والمهتمة بمثل هذه المواضيع .

وفي هذه الحالة لابد من بناء أنظمة تعزز المشاركة الفعلية العادلة وتقضي على مظاهر الاقصاء والتهميش ومن هذه الأنظمة⁽⁹⁾:

1- ذلك النموذج الذي يركز على الحقوق الفردية ومطالبها في حالة انتهاك حقوق الفرد ولجؤه الى القضاء .

2- النموذج الذي يعتمد على الضبط والالتزام عبر الحكومة او أي سلطة مستقلة تضع المعايير والأنظمة المطلوبة لتحقيق ولكي يعمل بموجبها الجميع .

3- النموذج الذي يقوم على التدابير الذاتية والطوعية .

4- النموذج المعتمد على فرض العقوبات القضائية اللازمة والضرورية ضد من لا يلتزم بالنظام او يخالفه.

(9) إسماعيل , فريدة غلام المتمدن , العدد 1314 في 9/11/2005 المحور : حقوق المرأة ومساواتها الكاملة في المجالات كافة , الشبكة العنكبوتية.

- 5- النموذج الذي يعتمد على التشجيع المعنوي والمكافآت لمن يلتزم بتطبيق الأنظمة واطاعتها ولما كان مفهوم التمكين من المكونات الأساسية للتنمية المستدامة فهو يعني : ان يتمكن الناس من ممارسة الخيارات التي صاغوها بإرادتهم الحرة كذلك يتطلب تمكينهم من القيام بدورهم هذا عن طريق أسس اوضحها برنامج الأمم المتحدة الانمائي (UNDP) وهي كالآتي :
1. وجود ديمقراطية سياسية يتمكن الناس عن طريقها بالتأثير في القرارات المتعلقة بحياتهم
 2. وجود حرية اقتصادية بحيث يكون الناس متحررين من القيود والقواعد القانونية المبالغ فيها والتي تعيق نشاطهم الاقتصادي .
 3. وجود سلطة لا مركزية بحيث يتمكن كل مواطن من المشاركة في ادارة حياة الوطنية والمحلية انطلاقا من مكان عمله او سكنة .
 4. مشاركة جميع المواطنين ولاسيما المؤسسات غير الحكومية في صنع القرار وتنفيذ خطط التنمية.

رابعاً: أنواع تمكين المرأة

من انواع تمكين المرأة الاساسية هي⁽¹⁰⁾

1- **التمكين الاقتصادي** : ويتم هذا التمكين عن طريق النصيب النسبي لكل من الرجل والمرآه في مختلف الوظائف الادارية والتنظيمية والمهنية والتوزيع النسبي للدخل المكتسب عن طريق السكان النشيطين اقتصاديا من الجنسين والاجور النسبية للإناث بالمقارنة مع الذكور ، مع ضرورة التأكيد على الاهتمام او الاخذ بنظر الاعتبار المرآه الام المتفرغة لتربيته اطفالها وايضا ربه البيت المتفرغة لشؤون بيتها وفهما منهماكان بأعمال البيت و تربيته الاطفال ورعاية الأسرة ولكنهما يعدان بلا عمل خارج منزلهما وهذا ما يؤدي الى حصول التمايز بين المرأة العاملة خارج البيت والآخرى ربة البيت وهو امر مرفوض جميع الاتفاقيات الدولية و منصوص عليها في وثيقه الغاء كافه اشكال التمييز ضد المرآه.

٢- **التمكين الاجتماعي** : ويرى دعاة هذا التمكين ان تمارس المرآه جميع صلاحياتها وقدرتها في سبيل بناء ثقافه اجتماعية تحد مما يطلقون عليه بالسيطرة الذكورية وفي هذا السياق يتم المطالبة بتغيير قوانين

(10) نوار ، رانيا ، تمكين المرأة . بين التفسيرات الغربية وثقافتنا الاسلامية ، في 19\محرم 1431 هـ ، والمصادف 5 ايناير 2010 ، موقع على الانترنت.

الاحوال الشخصية والغاء قوامه الرجل على المرآه، وعدم النظر لدور المرآه في المجتمع على انه لانجاب الاطفال وتربيته الاولاد والاهتمام بشؤون البيت ورعاية الأسرة فقط ،بل لا بد من ان توجد برأيهم الى جانب الرجل لتشاركه وفي كل المجالات وتخوض معه معترك البناء الاجتماعي ، وبغيت نشر هذه الثقافة داخل المجتمع لجأت الحركات النسوية الى بناء مؤسسات وانديه ومن ومراكز وتجمعات خاصه بالنساء لإقامه مختلف الفعاليات والمحاضرات والندوات والمؤتمرات والمباحث هذا التمكين بغية تحقيق العدالة الاجتماعية وبناء مجتمع متقدم ومستدام.

٣- **التمكين السياسي** : على وفق اراء الداعين لهذا التمكين فانه يقاس بعدد المقاعد البرلمانية المتوفرة او المتاحة للرجال بالمقارنة مع النساء وكذلك مشاركته النساء في منظمات المجتمع المدني كالأحزاب وال نقابات ومنظمات وغيرها. وفي اطار هذا التمكين طالب مؤتمر بكين 1995 بتخصيص مقاعد برلمانية للمرآه في البرلمانيات (الكوتا) و بموجبه لا بد من رفع التمثيل النسائي الى نسبه لا تقل عن (30 %) وقد اتخذت عنه من الدول قرارات متقدمة في هذا المجال .

٤- **التمكين القانوني** : يركز هذا المجال على مجموعه القوانين والتشريعات التي تتعامل مع المرآه على اساس المواطنة القائمة على المساواة ، وكذلك يؤكد على الاتفاقيات الدولية المتعلقة بحقوق المرآه ، مع الاخذ بنظر الاعتبار بانه لاتزال هناك بعض العوائق التي تعيق تقدم المرآه ومساواتها الكاملة مع الرجل في الحقوق والواجبات في عدد من القوانين ومنها ما يتعلق بقانون الاحوال الشخصية وازاله التحفظات على اتفاقيه القضاء على كافة اشكال التمييز ضد المرآه⁽¹¹⁾

5. **التمكين التربوي** : ويركز على اهمية ادخال مفاهيم النوع الاجتماعي ، وعدم التمايز الجنسي في المناهج الدراسية والتوسع في فتح دور الحضانه ورياض الاطفال ، والعمل على سد منافع اميه للإناث ورفع نسبه الاناث في المرحلة الابتدائية الى (90%) وتخفيض نسبه التسرب من المدارس والوقوف على معوقاتهما وكل ما يتعلق بالزامية التعليم الاساسي ومجانيته فضلا عن العمل على تحقيق تكافؤ الفرص.

٦. **التمكين البيئي** : لا بد من مشاركة المرآه للجهات المعنية في بعض برامج حمايه البيئة لرفع مستوى الوعي البيئي واجراء البحوث والدراسات حول العلاقة القائمة بين السكان والبيئة والتنمية ومتابعه تنفيذ كل التشريعات والأنظمة الخاصة بحمايه البيئة فضلا عن الدعوة لاستخدام مصادر الطاقة المتجددة غير

(11) ياسين ، احلام عبد الهادي ، البعد البيئي والتربوي في برامج تمكين المرأة الريفية ، مصدر سابق ، ص 52_54.

الملوثة للبيئة وتوفير الخدمات والمرافق العامة كشبكة الصرف الصحي ومياه الشرب والكهرباء والمساكن وغيرها.

٧. التمكين الصحي : وينطوي هذا البعد على الاهتمام بصحة المرأة والتزامها بتوصيات المؤتمر العالمي للسكان عام 1994 ، و مؤتمر بكين عام 1995، و ضروره اتخاذ الخطوات الجادة لإنجاز مشروع الصحة الإنجابية والذي يهدف الى توفير خدمات و معلومات انجابيه عالية الجودة ولاسيما في المناطق الريفية والناحية وزياده امكانيه حصول المرأة على الرعاية الصحية والمعلومات والخدمات ذات العلاقة بحيث تكون ملائمه وذات نوعيه جيده.

خامساً: التنمية البشرية المستدامة

1- مفهوم التنمية Development

قد يتبادر الى الذهن سؤال عن معنى التنمية في اللغة وللإجابة عن هذا التساؤل لا بد من العودة الى المعاجم اللغوية فالتنمية بمفهومها اللغوي مشتقة من الفعل (نما) فيقال نما الشيء نماء ونموا أي زاد وكثر ، ونمى الشيء تنمية بمعناه انماه ، وهكذا وهكذا فان كلمة النمو تستخدم بمعنى الزيادة ، وتاتي كذلك بمعنى⁽¹²⁾. وقد أشار رواد علمي الاقتصاد والاجتماع الى الاختلاف القائم بين اصطلاحى النمو والتنمية مشيرين الى ان مصطلح النمو يدل على عملية الزيادة الثابتة او المستمرة التي تحدث في جانب معين من جوانب الحياة . اما التنمية فتعني تحقيق زيادة سريعة تراكمية ودائمة خلال مدة من الزمن . فالزيادة الثابتة في النسبة المئوية للمتعلمين الى مجموع السكان مثلا ، مؤشر من مؤشرات النمو الاجتماعي . اما التنمية فتحدث في التعليم في مرحلة النمو الاجتماعي السريع وخلال مدة ممتدة من الزمن . والنمو يحدث في الاعم الاغلب عن طريق التطور البطيء والتحول التدريجي . اما التنمية فتحتاج الى دفعة قوية ليخرج المجتمع من حالة الركود والتخلف الى حالة التقدم والنمو . وهكذا يبدو مما تقدم : ان التنمية تحيط بكافة جوانب الحياة على اختلاف صورها واشكالها فتحدث فيها تغييرات كيفية عميقة وشاملة .

وتعني التنمية بالمعنى الحضاري الشامل التغيير الاقتصادي والاجتماعي للإنسان والجماعة والمجتمع والذي يؤدي الى تغيير في العلاقات والانماط السلوكية وتفجير الطاقات والإمكانات وتوظيفها

(12) مصطفى إبراهيم وآخرون ، المعجم الوسيط، الجزء الثاني ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النوري ، دمشق 1972 ، ص 994.

لصالح المجتمع وتقدمة وتبدله ونموه نحو الاحسن⁽¹³⁾ وهناك تعريف اخر للتنمية يقول بانها عبارة عن جملة الجهود البشرية التي تبذل من اجل النمو والتقدم وتحقيق الرفاهية للفرد والمجتمع⁽¹⁴⁾ وهي مجموعة من العمليات المترابطة المخططة والموجهة بهدف احداث تغيير مقصود مرغوب فيه لناء مجتمع ووظيفته وفي اتجاهات الافراد نحو انفسهم ونحو مجتمعهم⁽¹⁵⁾ وفي الواقع فان التنمية عملية تغيير وتطوير وانماء لكل جوانب الحياه وتؤدي بالنتيجة الى مولد حضارة جديدة او مرحلة جديدة من مراحل التطور الحضاري، وهذا يعني ان التنمية صفة الشمولية لأنها تشمل كل الجوانب المادية والفكرية فالتنمية ثمرة تفاعل مستمر ودائم بين المادة والفكر يؤدي بالنتيجة الى التطوير والابداع في مختلف مجالات الحياه⁽¹⁶⁾

وقد تبنى المشروع الإنمائي للأمم المتحدة (UNDP) مفهوم التنمية (Development Human) منذ عام 1990 مع صدور التقرير الأول عن التنمية البشرية في العالم وأصبحت التنمية الإنسانية تقاس عن طريق عدد من المؤشرات للدلالة على مستوى التنمية الاجتماعية في بلد ما مثل : نسبة من هم في مراحل التعليم المختلفة ونسبة الحاصلين على خدمات صحية ومياه الشرب مأمونة والمشاركين في النشاط الاقتصادي وتطور المفهوم ليأخذ بالحسبان مستوى تمكين المرأة ودرجة مشاركتها في التنمية وفي مواقع صنع القرار وأصبحت بلدان العالم بحسب هذه المؤشرات تخضع لترتيب معين كما وهناك ادلة لتنمية البشرية⁽¹⁷⁾

2- مفهوم التنمية البشرية المستدامة

لم يكن الاهتمام بالتنمية ولید العصر الحديث، فقد كان السعي الى الحياة الإنسانية الكريمة هدفا حقيقيا لكل الأنشطة البشرية وكان مثار اهتمام الفلاسفة الأوائل فضلا عن الحياة التي يعيشها الناس ونظريات التنمية محط اهتمام مختلف المدارس على الرغم من تباين مرجعياتها وفلسفاتها واليات اشتغال

(13) البياتي ، د. علاء الدين جاسم محمد ، محو الامية والتنمية ،مجلة العلوم الاجتماعية ، مطبعة مؤسسة الثقافة العالمية ، بغداد ،العراق ، 1980 ، ص 185.

(14) شكارا ، د. عادل عبد الحسين ، نظرية هوبهاوس في التنمية الاجتماعية ، مطبعة دار السلام ،بغداد ، 1975 ، ص 665.

(15) الخفاجي ، وليد عبد جبر ، التنمية البشرية في العراق للمدة من عام (2005-2003).دراسة ميدانية في مدينة بغداد ، رسالة ماجستير غير منشوره ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ،قسم علم الاجتماع ، 2007 ، ص 22_8.

(16) زين ، الياس ، تنمية القدرة الذاتية للوطن العربي ، قضايا عربية ، العدد (6) ، السنة العاشرة ، بيروت ، لبنان ، 1983 ، ص 142.

(17) الناقلولا ، جهاد ذياب ، الاثار الاسرية الناجمة عن خروج المرأة السورية للعمل ، أطروحة في علم الاجتماع غير منشورة ، جامعة دمشق ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم علم الاجتماع ، 2009 ، ص 21_22.

النظم التي نظرت في ظلها حول العالم. وعلى هذا فان التنمية تعني بالأساس تنمية الانسان الذي هو رأس المال الحقيقي هدفا وغاية نهائية مطلقة عن طريق توفير واشباع جميع حاجاته المادية واللامادية وتوفير الظروف والأجواء المجتمعية كلها لتحقيق له قدرا من الاستمتاع بحقوقه كإنسان.

وهكذا أصبحت التنمية البشرية منهجا بديلا لما ساد عبر عقود التنمية التي وضعت الانسان على هامش العملية مقابل وضع الجوانب المادية في المحور، غير ان مفهوم التنمية البشرية بعد ذلك حظي بمكانة مميزة في الفكر التنموي عن طريق برنامج الأمم المتحدة الانمائي (UNDP) وذلك منذ عمله الرائد بإصدار تقرير التنمية البشرية الاول عام (1990 م) ودأبه على تطوير المفهوم وأغناؤه عبر التقارير الدولية التي واطب على صدورها بما يقارب (600) ستمائة من التقارير الوطنية والاقليمية التي وسعت من دائرة الحوار حول التنمية البشرية وخلقت تيارا فكريا يجمع مفكرين وباحثين وكتابا من ثقافات ومجتمعات مختلفة ، اجتمعوا على مقولة (التنمية البشرية).

أن مفهوم التنمية البشرية على وفق ما جاء به برنامج الامم المتحدة الانمائي لأول مرة في تقرير التنمية البشرية لعام 1990 م ، ويقوم على اساس ان التنمية البشرية عملية هادفة الى زيادة الخيارات المتاحة او المتوفرة امام الناس ، فمن حيث المبدأ فان هذه الخيارات ليس لها حدود وتتغير بمرور الوقت ، اما من حيث التطبيق فقد تبين بأنه وعلى جميع المستويات التنمية تتركز الخيارات الاساسية في ثلاثة محاور ، هي : ان يحيا الناس حياة طويلة خالية من العلل ،وان يكتسبوا المعرفة ، وان يحصلوا على الموارد الضرورية لتحقيق مستوى حياة كريمة ، وهنا لابد من الاخذ بنظر الاعتبار بأن هذه الخيارات الاساسية اذا لم تكن مكفولة فأن الكثير من الفرص الاخرى ستضل بعيدة المنال .

وقد جاء في تقرير الامم المتحدة الخاص البشرية لسنة (1993 م) تعريفا يشير الى (تنمية الناس من اجل الناس بواسطة الناس) وتنمية الناس معناها استثمار قدرات البشر سواء في التعليم او الصحة او المهارات كي يمكنهم من العمل على نحو منتج واخلاق والتنمية من اجل الناس ومعناها كفالة توزيع ثمار النمو الاقتصادي الذي يحققونه توزيعا واسع النطاق وعادلا أي اعطاء كل فرد فرصة المشاركة فيها

(18)

(18) تقرير التنمية البشرية للعام 1993 م ، برنامج الامم المتحدة الانمائي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ص 3.

وقد ظهر مفهوم التنمية البشرية المستدامة (Human Development Sustainable) في بداية الثمانينات كرد فعل على الازمة الدولية وأزمة السوق في قيادتها للعملية التنموية ونتيجة لازمات التنمية المستعصية اذا عكف برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP) في نشاطاته على الجوانب البشرية للتنمية مشجعا على بروز رؤية جديدة للتنمية عن طريق التقارير السنوية التي يصدرها برنامج الامم المتحدة الانمائي منذ عام (1990 م)⁽¹⁹⁾

وراح مفهوم التنمية البشرية المستدامة يستأثر باهتمام علمي وفكري واسع مثل ذلك ماورد في التقرير الاتحاد العالمي للمحافظة على الموارد عام (1981م) حين خصص هذا التقرير بأكمله للحديث عن التنمية المستدامة تحت عنوان (الاستراتيجية الدولية للمحافظة على البيئة) وعرفت التنمية المستدامة في هذا التقرير على انها (السعي الدائم لتطوير نوعية الحياة الانسانية مع الاخذ بالحسبان قدرات وامكانيات نظام البيئة الذي يحتضن الحياة)⁽²⁰⁾

ولعل التعريف الاكثر شيوعا للتنمية المستدامة (Sustainable Development) والذي تم وضعه عام (1987 م) من اللجنة العالمية للبيئة والتنمية التابعة لمنظمة الأمم المتحدة (The world Commission on Environment and Development) (WCED) (لجنة برتند لاند Gro_ Harlem Brundt Land) برئاسة وزراء النرويج السابقة ، يوضح ان التنمية المستدامة هي التنمية التي تلبى حاجة الاجيال الحاضرة من دون المساس بقدرة الاجيال المقبلة على تلبية حاجاتها الخاصة.

ولتحقيق التنمية المستدامة يتطلب الامر مجموعة من الانظمة الثابتة في واقع الحياة الانسانية منها كالاتي⁽²¹⁾

1. نظام اجتماعي يقدم الحلول للتنمية غير المتناغمة ويقدم المقترحات الممكنة لديمومة وتصعيد فعاليات المشاركة للنوع الاجتماعي (الجندر).

⁽¹⁹⁾ نعمة , نغم حسين , ادارة المعرفة وادوارها في بناء المجتمع المعرفي وتحقيق التنمية البشرية المستدامة مجلة دراسات اقتصادية , بغداد , بيت الحكمة , العدد (23) , سنة 2010 م , ص 87.

⁽²⁰⁾ C.A Tisdell." Sustainable Development Different perspectives world Development , vd, NO ,1988,p.p.373_384

⁽²¹⁾ مصطفى د . عدنان ياسين , التنمية البشرية المستدامة بين ايديولوجيا الشمال ومأزق الجنوب , رؤية سوسيولوجية , كتاب ودراسات في التنمية البشرية المستدامة في الوطن العربي , طباعه الاولى , المطبعة العالمية , بغداد , 2000 م , ص 233.

2. نظام سياسي يؤمن المشاركة الفاعلة للمواطنين رجالا ونساء في مختلف مستويات الحياة والفعاليات الادارية والاجتماعية وفي عملية صنع القرار.
3. نظام اقتصادي له قدرته على احداث فوائض انتاجية على اساس اعتماد الذاتي والاستدامة.
4. نظام انتاجي واداري ودولي تراعي فيه الانماط المستدامة للتجارة والتمويل ، فندرة المصادر في تلبية الحاجات البشرية هي اساس المشكلة الاقتصادية لان زيادة الانتاجية وترشيد استعمال المصادر المحدودة هي في صلب التنمية البشرية من دون رفع هذا الهدف او البعد الى مراتب أعلى من الاعتبارات الانسانية الاخرى فزيادة الانتاجية تبقى في النهاية وسيلة على الرغم من اهميتها .

3- سمات التنمية المستدامة

يرى ذوي الاختصاص ان هناك اربع سمات مميزة للتنمية المستدامة هي⁽²²⁾.

- التنمية المستدامة تختلف عن التنمية بشكل عام ، لكونها اشد تدخلا واكثر تعقيدا لاسيما ما يتعلق بما هو طبيعي وما هو اجتماعي في التنمية .
- التنمية المستدامة وجهتها اساسا لتلبية احتياجات اكثر الشرائح فقرا وتهميشا في المجتمع وتسعى الى الحد منها في العالم.
- التنمية المستدامة لها بعد نوعي يرتبط بتطوير الجوانب الروحية والثقافية والابقاء على الخصائص الحضارية للمجتمعات.
- لا يمكن فصل عناصر التنمية المستدامة او قياس مؤشراتها، وذلك لشدة تداخل ابعادها الكمية والنوعي.

4: مكونات التنمية البشرية المستدامة.

أنّ مكونات التنمية البشرية المستدامة والتي تعد بمثابة معايير لسياسات واهداف لا بد من تحقيقها فأنها تقوم على اساس اعطائها المضمون الملموس على الصعيد العالمي فضلا عن اعطائها مضمونها الخاص المعبر عن ظروف كل بلد ومجتمع ، وهي تتكون من العناصر الاتية⁽²³⁾ (الانصاف ، الانتاجية ، الاستدامة ، التمكين) .

• الانصاف

وهو بديل عن مصطلحي المساواة والعدالة ويركز على تكافؤ الفرص وعلى الوسائل والمدخل وليس على النتائج والمخرجات ، كما يلتزم بمبدأ تحميل الفرد مسؤولية الافادة منها ، وذلك كي لا يكون المفهوم

(22) المطيري ، نبراس عدنان ، المرأة والتربية المستدامة في ضوء مقررات مؤتمر بكين عام 1995، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، قسم علم الاجتماع ، كلية الآداب ، جامعة بغداد، 2005، . ، ص 34.

متعارضا مع الميل السائد نحو تقليص دور الدولة بوصفه مسؤولا شبه حصري عن تأمين الحاجات الضرورية الاساسية وتأمين العدالة .

● الانتاجية

وتقوم على وفق النظرة الجدية التي تتميز باقتناعها بأن التوزيع العادل للموارد العامة والخاصة من شأنه ان يعزز فرص النمو الاقتصادي وان مفهوم التنمية المستدامة يركز على زيادة النمو والانتاجية بالتلازم مع تحقيق التنمية البشرية .

● الاستدامة

وتعني ان تكون التنمية عملية شاملة وقابلة للاستمرار من وجهة نظر اقتصادية واجتماعية وبيئية .

● التمكين

ويعني ان ينظر مفهوم التنمية البشرية المستدامة الى الناس بوصفهم فاعلين في عملية التغيير الاجتماعي ويسوا مجرد مستفيدين يتلقون النتائج من دون مشاركة نشيطة كما ويعني ان يتمكن الناس من ممارسة الخيارات التي صاغوها بإرادتهم الحرة .

5- معوقات التنمية المستدامة

تعني التنمية المستدامة (Sustainable Development) التركة التي ستورثها للأجيال المقبلة مع التأكيد على حقوق الانسان، وتحسين نوعية الحياة التي يجب ان تكون دائمة، غير ان هناك بعض المعوقات التي تواجه البلدان النامية ومنها البلدان العربية التي تحاول ان تبني خطط وبرامج التنمية المستدامة ومن ابرز هذه المعوقات: الحروب والاحتلال والنزاعات المسلحة، غياب الديمقراطية ، تهيمش دور المرأة ، الفقر ، التضخم السكاني غير الرشيد ، مستوى التعلم والثقافة

● الحروب والاحتلال والنزاعات المسلحة

أن رفاهية الانسان وكرامته تمثل ارقى ما تطلعت اليه الامم في كل زمان ومكان ، لذلك فان اهم مكسب للسلام والامان هو تجنب النزاعات المسلحة كذلك فان تحليل التأثير الى خسائر مادية وبشرية جمه ، لاسيما الكوادر المؤهلة والمدربة وعملية اعادة اعمار البنى التحتية والتجهيزات المختلفة. وعلى نفس السياق فأن الحروب تفرض اولوية تخصيص الموارد لأغراض الدفاع ،فهي غالبا ما تكون على حساب التنمية بكل جوانبها الاقتصادية والبشرية والتكنولوجية ومن ثم تخل في المحصلة النهائية بمرتكزات الامن بمفهومه الشامل ، فضلا عن ذلك فأن السلام والامان يؤدي بالتأكيد الى اثار ايجابية طويلة الامد

على مختلف مرافق الدولة وبخلاف ذلك فإن انعكاسات خطيرة وتأثيرات سلبية لا بد من ان تصيب قدرة الدولة على تنفيذ خطط التنمية المستدامة⁽²³⁾

● غياب الديمقراطية

لاشك ان الديمقراطية شرط اساسي لعملية المشاركة التي تعد الركيزة الاساسية للتنمية المستدامة ، ولذلك فإن قضية المشاركة بجانبها الجزئي والكلي ولجميع فئات المجتمع تواجه عقبات كثيرة ولاسيما في المجتمع العربي ، فبعضها قانوني وبعضها سياسي والبعض الاخر اجتماعي وثقافي ، تكاد تختلف في معظم النظم الحاكمة التي تركز الاتجاهات المؤثرة على مستوى الحكم والتي تؤدي في الغالب الى تجميد قوى يمكن ان تكون فاعلة ومؤثرة اجتماعيا وحضاريا لو اعطيت الفرصة للتعبير عن بعض من حرية الفكر، غير ان هذه النظم تحاول فرض ادارتها لإدامة فرص استمرار حكمها ومحاولة عرقلة شيوع الديمقراطية باتباع مختلف الاساليب للحيلولة من دون المساس بركائزها الاساسية او السعي الى تغييرها سواء باستخدام مختلف وسائل القمع المادية والمعنوية او استخدام اساليب الترغيب والترهيب بتسخير وسائل الاعلام المتعددة والمتنوعة بالدعاية وللأسس التي تستند عليها والشكل الذي تقدمه فضلا عن محاولة تشويه ومحاربة الافكار والاشكال المناقضة او المغايرة لتوجهات وسياسات هذه الانظمة⁽²⁴⁾.

● تهميش دور المرأة

ان الوضع المتدني للمرأة وحرمانها من المشاركة الفعالة في عملية التنمية والتمييز ضدها يشكل عائقا امام تحقيق التنمية المستدامة ، وقد اقرت بهذا الواقع معظم الحكومات والهيئات والمنظمات الحكومية وغير الحكومية ولاسيما في البلدان النامية ،اذ ان القيم الثقافية لأن مجتمع هي المحددة لدور المرأة ومكانتها ، ويحصل هذا عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية التي تحدث نوعا من التمايز والفروقات بين الرجال والنساء وبالشكل الذي يؤدي الى تحديد الوظائف والمجالات المختلفة سواء كانت فكرية او اجتماعية او سياسية او اقتصادية ، فما تزال العادات والتقاليد والاعراف تضع القيود الكثيرة على اسهام المرأة خارج المنزل، ومن اجل هذا لا يزال يطبق بحق المرأة الكثير من اشكال العزل المكاني والاجتماعي بوصفها حاملة لشرف العائلة ومن ثم تحجيم دورها ولوجودها الانساني .

(23) الاسكوار، اثار السلام والامن على التنمية المستدامة في منظمة الاسكوا الامم المتحدة ، نيويورك ، 2002 ، ص 8.

(24) ناصر ،خالد ،ازمة الديمقراطية في الوطن العربي ، كتاب الديمقراطية وحقوق الانسان في الوطن العربي ، مركز دراسات الوطن العربي ، بيروت ، لبنان ، 1998 ، ص 84.

● الفقر

يعرف الفقر بعدم قدرة الشخص على تحصيل الحد الأدنى من متطلبات الحياة الأساسية والتي تبقى على قيد الحياة وتحفظ كرامته الإنسانية وتحقق قدرته على العمل في تلبية حاجاته الضرورية بصورة مقبولة⁽²⁵⁾ أما مفهوم الفقر من منظور التنمية البشرية فإنه يعني الحرمان من خيارات وفرص العيش لحياة مقبولة . فهو في مفهومه هذا قد يعني العيش حياة طويلة يتمتع بها الفرد بالصحة والقدرة على الابداع والتمتع بالمستوى المعيشي اللائق وبالحرية واحترام الذات واحترام الآخرين⁽²⁶⁾.

● التضخم السكاني غير الرشيد

ان سرعة نمو السكان في اغلب البلدان النامية وما ينجم عنها من مجاعات وامراض وفقر قد نبه الديمغرافيون والاقتصاديون وعلماء الاجتماع ومنظمات الصحة العالمية والمحلية الى خطر هذا التزايد السكاني وتأثيره على اقتصاديات تلك البلدان مما حدا بالحكومات الى تطوير سياساتها باتخاذ المقابلة بتعزيز التنمية الاجتماعية والاقتصادية وذلك بهدف تحسين نوعية الحياة وانسجاما مع الموارد المتاحة للدولة ،ومن هذا الاجراءات سن القوانين وتشريع انظمة واستحداث برامج تهدف الى محاولة التأثير في عوامل التغيير السكاني الثلاثة وهي المواليد والوفيات والهجرة⁽²⁷⁾.

● مستوى التعليم والثقافة

التعليم حق من حقوق الانسان كما انه الوسيلة الفعالة والعملية لانطلاق الفئات المهشمة من اطار الفقر والجهل للمساهمة في اطار الحياة الوظيفية ، فقد اكد المخططون والباحثون على ضرورة عد التربية جزءا اساسيا في البرامج التنموية نظرا لما توفره من رأس مال بشري او عنصر انساني للعمليات الانتاجية مع تزويد القوى العاملة بالمؤهلات الضرورية للنشاط الانتاجي حاضرا او مستقبلا . ولاسيما وان عالم اليوم يواجه مهمتين عاجلتين هما : التزايد السكاني المتسارع وضرورة توفير الغذاء الكافي للشعوب، والآخر مكافحة الامية لتزايد عدد الاميين في العالم . فالتعليم يوجه التفكير نحو الاحساس الديمقراطي بحيث يصبح الفرد اكثر ادراكا وتفهما لتوجيهات الافكار المتعددة و المتنوعة المحيطة به وهو يخلق الاهلية لدى الشخص ليكون رايه الشخصي حول الكثير من المشكلات والقضايا التي يواجهها ،ليس فقط

⁽²⁵⁾ باقر ، محمد حسين ، قياس الفقر في دول اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي اسيا ، نيويورك ، 1996 م ، ص 1

⁽²⁶⁾ UNDP ,HDR ,New York ,Oxford University Press, P.5.

⁽²⁷⁾ علي ، د. يونس حمادي ، مبادئ علم الديمغرافية ، مطابع جامعة الموصل ، 1985 ، ص 135.

في مجال حياته الشخصية وانما في نطاق المجتمع ككل ايضا ، لذا فأن مسألة التمكين ضرورية في هذا المجال لكونه موضوعا جوهريا للتغيير ومحدثا له .

سادساً: واقع مشاركة المرأة العراقية في العملية التنموية : رؤية تاريخية.

حظيت المرأة العراقية منذ أقدم العصور لمكانة رفيعة فهي جزء من شعب صنع عدة حضارات مثل بابل وسومر وأكد وأشور وغيرها ، أضاء نورها أرض المعمورة وأنار قلوب وعقول الانسانية . فقد أولى العراق القديم المرأة الاهتمام الكبير ، منذ ان عرفت الانسانية أولى تشريعاتها وقوانينها ، حيث انه وفر لها حماية قانونية تجسدت في عهد حمورابي للمدة ما بين (1792_50 ق.م) وشريعته التي تسعى الى تقديم العدالة للناس ومن ضمنهم المرأة من خلال تأكيد شخصيتها القانونية الكاملة سواء من الناحية المادية والانسانية ، فضلا عن أشغالها للمناصب القيادية⁽²⁸⁾. بيد ان المجتمع العراقي مر بظروف تأثر بها اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وثقافيا وبما ان المرأة عضو في هذا المجتمع حيث انها تمثل نصف سكانه تقريبا ، فقد تأثرت بدورها بهذه النواحي مما انعكس على مكانتها في المجتمع وعلى ادوارها التي تقوم بها سواء داخل البيت او خارجه . ولن نرجع كثيرا الى التاريخ البعيد او الوسيط للتعرف على ما كانت عليه المرأة العراقية في المجتمع ، ولعل بدايات القرن العشرين يمكن ان تكون بداية معقولة لتاريخ العراق الحديث لاعتبارات كثيرة يسوقها عادة المؤرخون مثل الانفتاح على العالم الخارجي والتأثر بالتيارات الاجتماعية الحديثة والوفادة عن طريق وسائل الاعلام المتنوعة فضلا عن تأثير عوامل التقدم والعلمي والثقافي والتقني وفعاليتها على الحياة الاجتماعية والاقتصادية واتساع نطاق التعليم مضافا لذلك تغيير المفاهيم نسبيا وتنوع متطلبات الحياة العصرية التي شهدتها المجتمعات المتقدمة حينذاك. ألا ان العراق والمنطقة برمتها كانوا وقتها والفترات التي سبقتها غارقين في ظلمات أربعة قرون تحت سيطرة الإمبراطورية العثمانية التي فرضت نفسها على حياة الناس ولاسيما النساء منهم، حيث كانت المرأة تعيش في ظلام الجهل والتخلف ، تابعة للرجل يحق له ان يتصرف بها كيفما يشاء ومتى شاء ، ويصل ذلك الى حد القتل الذي لا يحاكم عليه الا وفق بنود مخففة من القانون ، كذلك كانت المرأة تبايع وتشتري ويفتدى بها دية عن المقتول ، واعتبرت قاصرة وولي امرها يجب ان يكون رجلا حتى لو كان حفيدها ، وايضا كان ينظر لها كونها مخلوقاً ضعيفاً خلق للبيت ولأنجاب الاطفال وتربيتهم والقيام بدور الزوجة والام فقط ، فلا رأي لها في الزواج ولا حرية لها في العمل مع الرجل ، كما وحرمت من فرص التعليم والتثقيف ،

(28) العباس ، خليل ابراهيم ، شريعة حمورابي ، دار عمار للنشر ، عمان 1998 ، ص 194.

وترتدي الحجاب الذي يمثل الحشمة والوقار ولا تخرج من دارها الا باستئذان ولي امرها واذا خرجت فإنما تخرج بصحبة الاهدل او الاقارب ، وتختلف هذه التقاليد بين النساء تبعاً لمحيط سكنهن وبيئتهن ، فالمرأة الريفية كانت تتمتع بنوع من الحرية التي لا تملكها المرأة في المدن كاشتراكها مع الرجل في اعمال الحقل او الرعي او البناء ، ف حين كانت المرأة في المدينة رهينة البيت ، ولكن تبقى حالة واحدة هي تبعية ال مرأة للرجل فهو المسيطر وعلى المرأة طاعته ، لا راي لها في تقرير مصيرها ولا قيمة لها كإنسانه ، وترضى بذلك لأنها تعده قدرها كما كان قدر امها وجدتها⁽²⁹⁾.

كل هذا اثر سلبي على دور المرأة ومكانتها في المجتمع ، وهذا بلا شك يعكس ما للواقع الاجتماعي من اثر كبير على السلوك الاجتماعي للأفراد ، وهنا تشهد بما تقوله الباحثة سيمون دي بوفوار بهذا الخصوص (أن ضعف المرأة لا يعود الى أسباب فطرية في طبيعتها وانما يعود الى حالتها العامة التي يفرضها المجتمع عليها منذ حداثتها وحتى اواخر ايامها)⁽³⁰⁾

وشهد المجتمع العراق تغييرات مهمة حول مكانة المرأة وادوارها المختلفة خلال العقود الاخيرة من القرن العشرين تمثلت في وصفها شريكا في بناء المجتمع عن طريق جوانب وقضايا متعددة منها اختيارها لمناصب استراتيجية مثل القضاة . وفي عام 1969 م تولت د. سعاد خليل اسماعيل منصب وزير التعليم العالي والبحث العلمي ، كما ومارست المرأة العراقية من الناحية العملية حق الانتخاب للمجالس النيابية وكان ذلك عام 1980 م ، والسعي لتدعيم ممارسة المرأة لعملية اتخاذ القرار وتشجيع النساء على المشاركة في عملية صنع القرار وتوسيع اشغال النساء للمواقع القيادية .

على الرغم مما تقدم والتوسع الكبير في مشاركته المرآه على كافة المستويات غير ان النهج الذي اتبعه النظام السياسي القائم في ذلك الوقت من حيث مركزية القرارات والتخطيط فضلا عن تسييس مختلف قطاعات المجتمع ومثال وميادينه ومن ثم تسييس قضيه المرآه ودعوتها المساء والتحرر، وما تعرض له العراق ومجتمعه من حروب طاحنه تمثلت الحرب العراقية- الإيرانية ولمده ثمان سنوات من (1980 8/8_ 1988 م) ، وتلتها الحرب الخليجية بين العراق والكويت عام (1991) واعقبها حصار فرض على العراق شمل جميع مرافق الحياه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الخ وما رافق ذلك من

⁽²⁹⁾ الدريندي ، عبد الرحمن سليمان ، دراسات عن المرأة العراقية المعاصرة ، الجزء الاول ، مطبعة دار البصري بغداد ، 1968 ، ص 16_12 .

⁽³⁰⁾ دي بوفوار ، سيمون ، الجنس الاخر ، ترجمة مجموعة من الاساتذة الجامعيين ، المكتبة الاهلية ، بيروت 1964 ، ص 308

عسكرة المجتمع. كل هذا أدى الى التراجع في جميع مؤشرات التقدم والتطور وانتهت بالاحتلال الامريكي للعراق في 2003/4/9 ان وقع هذه الهزات كان كبيرا على الشعب العراقي ولا سيما المرأة العراقية التي فقدت الكثير من المكاسب التي حققتها لتعزيز مكانتها وتمكينها من المشاركة الفعالة في حياة المجتمع ومن ثم تطوير الحركة النسوية في العراق.

وتوصل الى ان المرأة العراقية على الرغم من انجازاتها المهمة عبر التاريخ البعيد والقريب كانت ضحية الحروب والنزاعات والحصار الاقتصادي ايضا ، فضلا عن الازمات الاخرى التي شهدتها العراق والتي انعكست عليها ومن ثم اصبح العبء عليها مضاعفا، ولهذا فان مؤشرات التراجع بدت واضحة على اوجه حياتها المختلفة سواء في المجال التعليمي والصحي ، كما تراجع دخل الاسرة وازداد عدد الاسر التي تعينها نساء ، و اذا تناولنا موقع المرأة و صناعه القرار واتخاذها نجد انها مازالت من دون مستوى الطموح قد يصح ان للمرأة حضور في مجالس الشعب والبرلمان (*) او في بعض المواقع القيادية غير انه حضور شكلي في الغالب ، فالمرأة فيها تتلقى الاوامر من دون ان تتاح لها فرصة الرفض او الاحتجاج وكان مكانة المرأة فيها لا تختلف عن مكانتها في اسرتها .

ولقد واجهت المرأة العراقية مآسي التهجير والصراعات العرقية والتمييز الثقافي وكانت ضحية الحروب والحصار، ومع ذلك فان الصورة النمطية التقليدية عنها لم تتغير كثيرا ، اذ ان نمط التنشئة السائد في الأسرة العراقية يعزز التمييز ضد المرأة او تبرره الثقافة السائدة .

ومما تقدم ان مسيره المجتمع العراقي لم تتوقف على الرغم من الحروب والنزاعات العسكرية و التطاحن ثم الحصار بكل ابعاده ، كل ذلك أدى الى تراجع معدلات التنمية وجعل المرأة احد اهم الضحايا ، ثم جاءت الحرب الأخيرة التي ادت الى الاحتلال الامريكي للعراق في (2003 م) لتؤدي الى نشوء مشكلات جديدة و تفتح في الوقت نفسه ابواب آفاق جديدة من خلال ظهور عده منظمات نسوية وعده مرجعيات تفسر وتحلل قضايا المرأة وعده مخططات واقتراحات لتطوير اوضاع العراق ويمكن وصف هذا دليل عافيه ما دام التنوع في اطار الوحدة قائما لدعم قضايا المرأة ، والحرص على ان تأخذ مكانتها المشروعة وان تسهم في حركة المجتمع واعاده بناءه نحو التقدم .

(*) يُنظر : تشريعات مجلس النواب العراقي والنظام الداخلي لمجلس النواب العراقي الذي تم التصويت عليه في 14/6/2006 م ، منشورات الدائرة الاعلامية في مجلس النواب ، نيسان 2008 م ، المادة (107) ، لجنة المرأة والاسرة والطفولة ، 43، جمهورية العراق مجلس النواب .

كما انه تمكين المرأة يعني طاقاتها وتشجيعها على نبذ القيم والمعايير القديمة التي تكبلها وتعيق انطلاقها ، وذلك عن طريق رفع مستواها من الناحية التعليمية واثاحه الفرص لها للعمل في المجالات المختلفة وتزويدها بالتعليم والتدريب المهني اللازم ، لذلك والعمل على مواجهه المعوقات التي تحول من دون مشاركتها الفعالة في التنمية والحد منها⁽³¹⁾ ونظرا لأهمية مفهوم التمكين المرأة بوصفه عنصرا حيويا لا يمكن تجاهله في عملية التنمية، فقد اكد تقرير التنمية البشرية لعام 1995 م ، على تلك الاهمية ، لأنه الطريق المؤكد للربط بين النمو والتنمية فيما لو استطاعت المرأة ممارسه خياراتها في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بحيث يصبح الاحتمال كبيرا في ان يكون النمو قويا و ديمقراطيا وقائما على المشاركة وقابلاً للدوام والاستمرارية⁽³²⁾.

وتستلزم عملية تمكين النساء زيادة وعيهن عن طريق توفير الوسائل الثقافية والتعليمية والمادية حتى يتمكن من المشاركة في صنع القرارات او اتخاذها والتحكم بالموارد التي تعينهن⁽³³⁾ وهكذا تتطلب العلاقة بين تمكين المرأة والتنمية بادئ ذي بدء التحرر من التمييزات الجنوسية النمطية ، كما تتطلب تحقيق العدالة بين الجنسين في الحقوق والواجبات وتمكين المرأة من فرص حصولها على الخدمات الاساسية ، ومن تحقيق كامل امكاناتها وتعزيز مساهمتها في التنمية المستدامة في تقرير السياسات ووصولها الى مواقع العمل والانتاج و اتخاذ القرار .

سابعاً: تجربة المرأة العراقية في التنمية والتمكين بعد عام 2003.

أنّ الاهداف الأساسية لتمكين المرأة تقوم على اساس تحسين وضعها وتمكينها اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وقانونيا وبيئيا وتربويا و توفير الخدمات الاستشارية لبناء القدرات البشرية والمؤسسية للأليات الوطنية المعنية بالمرأة والمنظمات غير الحكومية والدعوة الى اتباع نهج يقوم على الحق في التنمية لتمكين المرأة والنهوض بها من اجل القضاء على جميع اشكال التمييز ضدها وتقليص اختلالات بين الجنسين وادماج منظور النوع الاجتماعي في سياسات وبرامج ومشاريع تنموية بوصفه اداة لتحقيق المساواة بين الجنسين، فضلا عن السعي للوصول المرأة الى المشاركة الحقيقية في صنع القرار ابتداء من الأسرة حتى اعلى مراكز صنع القرار في الدولة ومرورا بمؤسسات المجتمع المحلي.

⁽³¹⁾ صندوق الامم المتحدة للسكان ، المرأة والرجل في زمن متغير ، (حالة سكان العالم) ، (2000 م) ص 47.

⁽³²⁾ البرنامج الانمائي للأمم المتحدة ، تقرير التنمية البشرية لعام 1995 م ، دار العلم العربي للطباعة ، القاهرة مصر ، (1995 م) ، ص 123 .

⁽³³⁾ اليونيفيم ، التنمية والتنوع الاجتماعي ، الوحدة الثالثة ، مكتب غرب آسيا ، الاردن ، 2001 م ، ص 12.

وهكذا يتبين بالأدلة القاطعة حقيقته تفاقم التدهور الحاصل في مختلف الاوضاع التي يعيشها العراق في السابق و حتى الوقت الحاضر و لولا الظروف الاستثنائية التي مر بها العراق لأصبح الان في مصاف الدول عالية المستوى سواء في دليل التنمية البشرية (HDI) و في دليل التنمية البشرية المرتبطة بنوع الجنس (GDI) علما بان التقرير الوطني لحال التنمية البشرية في عام (2008 م) يشير الى ان قيمه دليل التنمية البشرية للعراق (HDI) استنادا الى بيانات عام (2007 م) تبلغ (623,0) وهو بذلك يقع في ضمن الفئة الدنيا من البلدان ذات مستوى التنمية البشرية المتوسطة ، و بذلك فان العراق احتل عام (2007 م) ، المرتبة (128) في الترتيب العالمي متراجعا من المرتبة (96) عام (1990) ان المرحلة الانتقالية التي يمر بها العراق يعاد فيها هيكله الأنظمة والقوانين لأجل منح فرصه تاريخيه لتصحيح العوائق المؤسسية على طريق تحقيق المساواة ، لا سيما وان مسيرته للتنمية البشرية والتمكين تواجه تحديات تحول من دون تحقيقها والوصول الى غايتها الاساس ومن هذه التحديات : التركة الثقيلة التي خلفتها عقود من التاريخ المضطرب بالحروب والعقوبات واستبداد السلطة و عسكرة المجتمع و كلها فاقمت مع تدهور اوضاع التنمية وتراجع حاد في مؤشراتنا فضلا عن تقويض اسس النمو المستدام والاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي .

أنّ القطيعة التاريخية التي حملتها المرحلة الانتقالية في العراق تؤشر التحول العميق في البنى والمؤسسات والقيم نحو تبني اسس جديده في الاقتصاد والسياسة وفرضت هذه المرحلة تحديات اضافيه للتنمية البشرية بما رافقها من احداث جسام القت بظلالها على الاستقرار السياسي والتعايش المجتمعي ، ويبدو ان الا من هو الاخر له دوره في المرحلة الانتقالية فقد بات الناس في قلق دائم على امنهم واستقرارهم فتجسد في الاثار السلبية الأتية : انتهاك الحق في الحياه ضياع خيار اكتساب المعرفة، ضياع خيار العيش الكريم و اخيرا مصادرة خيار المشاركة⁽³⁴⁾.

أنّ المرحلة الانتقالية في العراق مثلما تستدعي وعي الدولة لمهامها وبكفاءة فأنها تستدعي ايضا تمكين الناس ووعيمهم بأدوارهم وبناء قدراتهم هم من اجل اداره حياتهم بحريه ، و بمقدار ما يتمكنون من التأثير عن طريق مؤسساتهم المختلفة والأليات الديمقراطية للانتقال الى دولة و مجتمع ديمقراطيين . لقد دفع العراقيون ثمناً باهظاً للوصول الى هذه المرحلة ، وهذا يمكن ان يؤدي الى بناء نظام ديمقراطي يضمن الحقوق والحريات وبناء اقتصاد مستدام يوفر الفرصة للجميع بعدالة وانصاف ، ذلك ان الفرد هو

⁽³⁴⁾ وزارة التخطيط والتعاون الانمائي وبيت الحكمة ، مصدر سابق، ص20.

هدف التنمية ووسيلتها ولتحقيق هذا ليس لأنه هدفها والمستفيد منها فقط بل ان الايمان بفلسفتها يعني قبوله لها ومن ثم قبول المجتمع لهذه الفلسفة ونتائجها فيتحول الى مشارك فاعل في صناعتها (35).

ثامناً: دور الامم المتحدة وتمكين المرأة.

لقد كان لاهتمام الامم المتحدة لقضايا المرأة وتنميتها وتمكينها في الدول النامية الاثر الكبير في تحسين وضع النساء ، لأنها اعلنت المدة من (1976 _ 1985) عقداً دولياً لتنمية المرأة ايماننا من الامم المتحدة بان دور المرأة يجب ان ينال مزيداً من الاهتمام والرعاية والجهد من اجل مشاركتها الفعالة في أنشطة قوة منتجة و مواطنة تقع عليها مسؤوليه مشتركة وتطويره ورفع مستوى معيشتها على قدم المساواة مع الرجل، وقد سبق هذا العقد ان اعلنت الامم المتحدة عام (1975 م) ،دولياً للمرأة وعقد في ذلك العام المؤتمر العالمي الاول للمرأة في المكسيك وشهد عام (1980 م) ،انعقاد المؤتمر الثاني للمرأة في كوبنهاجن وفي عام (1985) عقد المؤتمر العالمي الثالث للمرأة في نيروبي والذي تم الاعلان فيه عن الاستراتيجية الاستشرافية للمرأة لعام (2000 م). (36) وعلى ضوء ذلك اضحت قضية المرأة مرتبطة بالتنمية ، فأصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة العديد من المواثيق الدولية والاتفاقيات ذات العلاقة ومنها تبنيها اتفاقية القضاء على كافة اشكال التمييز ضد المرأة (اتفاقية سيداو): (CEDAW) Convention on the Elimination of all forms of Discrimination Against Woman) ، في عام (1979م) وبدا تنفيذها عام (1981 م) ،وبلغ عدد الدول المنظمة اليها (165) دولة لغايه (1999م)، وكذلك انضمت الى هذه الاتفاقية (12) دولة عربية فقط من بين الدول العربية (22) في جامعه الدول العربية وهي الاردن ،الجزائر، جزر القمر ،العراق، والكويت ،والمغرب، تونس ، لبنان ، ليبيا ، مصر ، اليمن ، جيبوتي (37). وهنا لا بد من الإشارة الى ان مشاركة المرأة في عملية التنمية في الدول الغربية ترجع الى اواخر القرن التاسع عشر مع ونضوج الثورة الصناعية ، وفي ظروف الحربين العالميتين الاولى (1918 م) والثانية (1939 م) ازدادت نسبة مساهمة النساء في قوه العمل بسبب

(35) المصدر نفسه، ص 19_20.

(36) بشابشة ، عبير طایل فرحان ، درجة ممارسة المرأة القيادية للمهارات الابداعية في عملها ، الطبعة الاولى دار الحامد للنشر

والتوزيع ، الاردن ، عمان ، (2008 م) ، ص 15 .

(37) اليونيفيم واليونيسيف ، اتفاقية القضاء على كافة اشكال التمييز ضد المرأة ، عمان ، اليونيفيم (المكتب الاقليمي للدول العربية)

واليونيسيف (المكتب الاقليمي للشرق الاوسط وشمال افريقيا) . 2002 م

تجنيد الرجال ومشاركتهم في ميادين الحرب والقتال، وعموماً فإن مساهمة المرأة في التنمية تختلف من بلد إلى آخر باختلاف الظروف البيئية ودرجة التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لكل بلد. أعقب كل ذلك تطور في الفكر التنموي عن طريق منهج التنمية البشرية المتضمن الجمع بين إنتاج السلع وتوزيعها وزيادة قدرات الناس واستخدامها إذا اعتمدت مقوله (الإنسان صانع التنمية) بمعنى أن هدف التنمية البشرية هو توسيع الخيارات البشرية عن طريق ثلاثة مكونات أساسية هي: المساواة في الفرص المتاحة لجميع الناس في المجتمع رجالاً ونساءً، واستدامة هذه الفرص المتكافئة من الجيل الحاضر إلى الأجيال اللاحقة، تم تمكين الناس كي يشتركوا في عملية التنمية ويستفيدوا منها.

وبحلول عام (1995م) توجه الاهتمام العالمي نحو موضوع المرأة لتحقيق مساواتها مع الرجل و تقليص الفجوة القائمة بينهما من حيث تكافؤ الفرص في مجالات الحياة كافة، فعقد المؤتمر العالمي الرابع للمرأة في بكين عام (1999م) بهدف النهوض بواقع المرأة وتمكينها وجاء في منهاج عمله بأن هذه المسألة مرتبطة بحقوق الإنسان وشروط العدالة الاجتماعية وفي نفس السنة (1995م) قدم تقرير التنمية البشرية فكرة مقياس تمكين المرأة لقياس مدى مساهمة المرأة في المجتمع طريق مؤشر الدخل وحصصة المرأة في المراكز المهنية والتقنية وكذلك حصتها في مقاعد مجلس الشعب أو البرلمانيات وقد أظهرت تلك البيانات أنه ترتيب العالم العربي أقل من أي منطقة أخرى في العالم، فيما عدا أفريقيا جنوب الصحراء فقط فقد حصلت المنطقة على الأقل نسبة لمشاركة المرأة في العمل وادنى معدل للتمثيل البرلماني مما خفض من ترتيبها بشكل كبير.

وهكذا على الرغم من التطور الملموس في شؤون المرأة العربية فما يزال الطريق أمامها طويلاً، ففي إشارة إلى تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام (2002 م) تبين: أن العالم العربي يحرم نفسه من ابداعات و انتاجيات نصف مواطنة، فضلاً عن ذلك تواجد مجالات ما تزال تعاني تهميش المرأة فيها لا بد من اخذها بنظر الاعتبار بضرورة اصلاحها على وفق اطر قانونية وإجرائية لمنع التمييز ضد النساء مع التأكيد على تصديق اتفاقية القضاء على جميع اشكال التمييز ضد المرأة (CEDAW) دعاء التقرير كذلك إلى القضاء على التفاوت حسب النوع الاجتماعي من حيث الالتحاق بجميع انواع التعليم وبرامج التأهيل المهني ومكافحه ارتفاع نسبة بطالة النساء، وتحجيم التمييز ضد المرأة في سوق العمل بما في ذلك منع النساء من دخول مجالات محددة في مجال صناعة القرار.

وعلى ذات السياق تشير البيانات الى ان العامل الحاسم في تغيير وضعية المرآه يكمن في التغيرات الجوهرية التي يجب ان تتناول البنية التحتية للمجتمع العربي بمكوناته المعاصرة والقديمة ، اذ تضم بعضها مورثات ثقافية لمفاهيم زائفه مغروسة في المجتمع تخص المرآه مع ضرورة مناقشه الهموم التي تثيرها مسالة المرآه والتنمية سواء على المستوى العربي او على المستوى العالمي عن طريق فتح باب الحوار⁽³⁸⁾.

وهنا لا بد من ان تشير الى ظهور منظمة الامم المتحدة للنساء (UN Woman) اذ سمحت الامم المتحدة في الاول من يناير/ 2011م ، ببدء العمل الرسمي لمنظمة الامم المتحدة من النساء ، وهي المنظمة المكرسة لتحقيق المساواة بين الجنسين وتمكين المرآه وسوف تعزز هذه الهيئة الجديدة والطموحة جهود الامم المتحدة الرامية الى النهوض بمستوى المساواة بين الجنسين وعدة بتسريع وتيرة التقدم في تحقيق انجاز في حقوق المرآه في جميع انحاء العالم، وقد انبثقت هذه الهيئة على اثر اتفاق الدول الاعضاء في الامم المتحدة و بدعم قوي من الحركة النسائية العالمية . بانه يتعين بذل المزيد من الجهود لتمكين المرآه من المطالبة بالمساواة في الحقوق والفرص، وقد انشأت هيئة الامم المتحدة للنساء بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في يوليو/ 2010 م ، واصبحت تعمل بكامل طاقتها في الاول من يناير/ 2011م، والهيئة مبنية على دمج اربعة برامج للأمم المتحدة وهي :

1.اداره النهوض بالمرآه (DAW) .

2. معهد الامم المتحدة الدولي للبحوث والتدريب للنهوض بالمرآه (INSTRAW).

3. مكتب المستشار الخاص المعني بقضايا الجندر والنهوض بالمرآه (OSAGI)

4. صندوق الامم المتحدة الانمائي للمرآه (UNIFEM) .

وقد صرحت المديرية التنفيذية لهذه الهيئة (ميشيل اشليه). وهذا هو الزمن الواعد فلدينا فرصة تاريخية لتسريع الانجازات التي ناضل من اجلها لسنوات عديده قادة المساواة بين الجنسين وعليه فان المساواة بين الجنسين حق اساسي من حقوق الانسان ولها تداعيات اجتماعية و اقتصادية كبيرة كما انه تمكين المرآه هو المحرك الاقتصادي المزدهرة ومحفز للإنتاجية والنمو، فقد احرز الدول كثيره تقدما ملحوظا في

⁽³⁸⁾ المطيري ، نبراس عدنان ، التنمية المستدامة ، مصدر سابق ، ص 29.

تعزيز مكانه المرأة الا ان قضاء التمييز بين الجنسين لا تزال راسخة في كل المجتمعات فالنساء لازلنا مبعديات عن الكثير من الفرص الاقتصادية كما ان نسبة مشاركتهن في الحياه السياسية منخفضة جدا لذا فقد تم تحديد خمس اولويات في السياق الخاص لكل بلد وهي : مضاعفة اصوات النساء بمشاركة ادوارهن القيادية، انهاء العنف ضد المرأة ضمان المشاركة الكاملة للمرأة في حل الصراعات وتعزيز التمكين الاقتصادي للمرأة وتوجيه اولويات المساواة بين الجنسين في الخطط والموازنة الوطنية والمحلية. وهذا استحداث موقع عالمي في منظمه الامم المتحدة يستطيع تحويل الآمال النساء الى واقع فان اهمال حقوق النساء يعني ان الطاقات الاجتماعية والسياسية لأكثر من نصف السكان غير مستغلة استغلال تلك الطاقات لابد من فتح المجال للنساء ليتقلدن مختلف المناصب في القيادات السياسية وفي العلوم والتكنولوجيا والتجارة ' وكرئيسات لمختلف المؤسسات (39).

تاسعاً: مؤشرات إحصائية على ضوء مقياس تمكين المرأة

ان مقياس تمكين المرأة هو احد ادلة التنمية البشرية والمعتمدة من برنامج الامم المتحدة الانمائي يبرز عدم المساواة بين الجنسين عن طريق مشاركة المرأة في الأنشطة الاقتصادية والمهنية والسياسية باستخدام مؤشرات متوسط الدخل للفرد و نسبة النساء في الوظائف المهنية وحصص النساء في مقاعد البرلمان على التوالي وبمعنى اخر فان هذا المقياس يظهر عدم المساواة بين الجنسين في ثلاثة مجالات رئيسيه هي (40) :

1. المشاركة السياسية وسلطة صنع القرارات و تقاس بالنسب المئوية لحصص النساء والرجال في المقاعد البرلمانية.
2. المشاركة الاقتصادية وسلطة صنع القرارات وتقاس بمؤشرين، النسب المئوية لحصص النساء والرجال في مناصب المشرعين وكبار المسؤولين والمديرين وكذلك النسب المئوية لخصص النساء والرجال من المناصب المهنية والفنية .

(39) جمعية البحرين النسائية للتنمية الانسانية , منظمة الامم المتحدة للنساء تبدأ عملها , تاريخ نشر الخبر في 2011/2/8م , المنامة , مملكة البحرين , الموقع WWW.Bahrain.Org/new/Post.aspx?Pid=gs7magvkj

(40) جمهورية العراق، مجلس النواب ، الدائرة الاعلامية، وقائع المؤتمر الثالث عشر والدورة الخمسون للاتحاد البرلماني العربي، اربيل ، 2008 ، ص 194 .

3. السيطرة على الموارد الاقتصادية وتقاس بالدخل المقدر المكتسب لكل من النساء والرجال .
في كل من هذه الابعاد الثلاثة يتم حساب نسبة مئوية معادلة موزعة بالتساوي كمتوسط مرجح للسكان طبقاً للمعادلة العامة الآتية:

$$\text{النسبة المئوية المعادلة الموزعة بالتساوي} = (\text{نسبة الاناث من السكان} \times \text{النسب المئوية للإناث}^{1-}) + (\text{نسبة الذكور من السكان} \times \text{النسب المئوية للذكور}^{1-})$$

وإما بخصوص مقياس تمكين المرأة في العراق والذي بلغت قيمته (696,0) على وفق ما اشار اليه التقرير الوطني لحال التنمية البشرية في العراق لعام (2008 م)⁽⁴¹⁾ فان ما يظهره الجدول رقم (1) من بيانات موزعة حسب المحافظات ، تشير الى الأدلة الثلاثة لمقياس تمكين المرأة^(*) وبموجب هذه الأدلة الثلاثة يتم حساب مقياس تمكين المرأة بوصفة متوسطاً بسيطاً^(**) .

وباستعراض بيانات الجدول رقم (1) ومراكز جميع محافظات العراق التي تم ترتيبها على وفق مقياس تمكين المرأة يظهر ان المحافظات التي احزرت الأولوية هي كل من محافظه واسط (760,0) ومحافظه المثنى (0.745) اما محافظه دهوك (0.745) و محافظه اربيل (742,0) و محافظه بابل (731,0) اما محافظة بغداد فقد جاء ترتيبها من المقياس (731,0) نقطه اي المرتبة السادسة مع محافظه بابل وتأتي بعد ذلك بقيه المحافظات الاخرى، اذ احزرت محافظة البصرة الترتيب الثامن (0.696) ومحافظه نينوى المرتبة الثالثة عشر واخيرا محافظه كركوك التي احزرت المرتبة السابعة عشر (0 ، 567) و محافظه صلاح الدين اذ احزرت المرتبة الأخيرة الثامنة عشر (0.11) .

⁽⁴¹⁾ وزارة التخطيط والتعاون الانمائي وبيت الحكمة ، التقرير الوطني لحال التنمية البشرية في العراق لعام (2008 م) ، مصدر سابق ، ص 192-193 .

^(*) الأدلة الثلاثة لمقياس تمكين المرأة: هي دليل التمثيل البرلماني ، دليل النسبة المئوية للمشاركة الاقتصادية الذي يحتسب كمتوسط بسيط من دليلي النسبة المئوية المعادلة والموزعة بالتساوي لمناصب المشرعين والمسؤولين الكبار والمديرين ودليل النسبة المئوية المعادلة والموزعة بالتساوي للمناصب الفنية والمهنية، اما الدليل الثالث فهو النسبة المئوية المعادلة والموزعة بالتساوي للدخل .

^(**) علماً بان احصاءات مناصب المشرعين وكبار المسؤولين والمديرين وكذلك احصاءات المناصب المهنية والفنية مأخوذ من مسح التشغيل والبطالة لعام (2006 م) كما اعتمدت كما اعتمدت بيانات السكان المتوفرة في مديرية احصاءات السكان والقوى العاملة (2007 م) وأما بخصوص بيانات التمثيل البرلماني فهي من وثائق مجلس النواب العراقي (2006 م)

نستنتج مما تقدم ان عشر محافظات من بين ثماني عشرة محافظة ذات مستوى ادنى في قيمة مقياس تمكين المرأة عن قيمه الدليل الوطني والبالغة (696,0) وهذه المحافظات هي : نينوى ، كركوك ، ديالى، كربلاء، صلاح الدين، النجف، ذي قار، ميسان، السليمانية، ومن اولويات العمل المطلوب او السياسات في ما يخص تمكين المرأة وتعزيز المشاركة الاقتصادية. وفي الواقع ان التمكين ليس مجرد اجراءات فنية، بل وايضا عملية تغيير ثقافته التمييز بناء ثقافة التكافؤ المساواة بكل ابعادها القيمية والنفسية والقانونية، ان التمكين هو عملية تتجاوز كونها عملية تدريب او تأهيل فني ، كما وان البحث في التمكين يتطلب ان تتميز بين الوسائل والاهداف فمثلا زيادة الانفاق على التعليم قد لا تعني شيئا اذا كانت برامج التعليم نفسها تحت على التمييز واللامساواة .

جدول رقم (1)

يبين مقياس تمكين المرأة على وفق الادلة الثلاثة المعتمدة في العراق

(دليل التمثيل البرلماني ، دليل المشاركة الاقتصادية، ودليل الدخل)⁽⁴²⁾

⁽⁴²⁾ وزارة التخطيط والتعاون الانمائي وبيت الحكمة، التقرير الوطني لحال التنمية البشرية في العراق لعام (2008 م) ، مصدر سابق ، ص192.

| المحافظة | مقياس تمكين المرأة | | المقاعد البرلمانية التي تشغلها النساء (% من اجمالي مقاعد المحافظة) | المشروعات والمسؤوليات والاداريات (% من الاجمالي) | المهنيات والعاملات والتقنيات (% من الاجمالي) | نسبة الدخل المكتسب المقدر للإناث الى دخل الذكور |
|------------|--------------------|--------|--|--|--|---|
| | الترتيب | القيمة | | | | |
| نينوى | 13 | 0.626 | 0.25 | 1.12 | 2.34 | 0.16 |
| كركوك | 17 | 567.0 | 4.15 | 12.1 | 3.40 | 0.10 |
| ديالى | 16 | 567.0 | 7.16 | 1.12 | 9.40 | 0.14 |
| الانبار | 14 | 618.0 | 4.21 | 12.1 | 4.37 | 0.17 |
| بغداد | 6 | 0.731 | 32.5 | 29.7 | 37.0 | 0.12 |
| بابل | 5 | 0.731 | 27.3 | 29.3 | 45.7 | 0.05 |
| كربلاء | 15 | 0.613 | 16.7 | 29.3 | 39.7 | 0.09 |
| واسط | 1 | 0.760 | 33.3 | 29.3 | 45.3 | 0.12 |
| صلاح الدين | 18 | 511.0 | 9.1 | 12.1 | 33.2 | 0.14 |
| النجف | 9 | 687.0 | 22.2 | 29.3 | 46.4 | 0.14 |
| القادسية | 7 | 701.0 | 25.0 | 29.3 | 41.1 | 0.12 |
| المتنى | 2 | 745.0 | 40.0 | 29.3 | 45.4 | 0.10 |
| ذي قار | 10 | 0.673 | 30.8 | 15.7 | 50.0 | 0.15 |
| ميسان | 12 | 638.0 | 33.3 | 15.7 | 36.6 | 0.06 |
| البصرة | 8 | 696.0 | 35.3 | 15.7 | 41.2 | 0.08 |
| اقليم | 7 | 714.0 | 27.5 | 17.0 | 44.5 | 0.13 |
| كردستان | 3 | 0.745 | 37.5 | 17.0 | 40.6 | 0.11 |
| دهوك | 11 | 0.672 | 16.7 | 17.0 | 48.9 | 0.18 |
| السليمانية | 4 | 742.0 | 33.3 | 17.0 | 42.1 | 0.10 |
| اربيل | | 0.696 | 27.0 | 22.4 | 61.8 | 0.11 |

ملاحظة : نظراً لعدم تنفيذ مسح التشغيل والبطالة في محافظات (الانبار ، دهوك ، اربيل) فقد قدرت على اساس مؤشر المحافظة المجاورة .

لقد انفق العراق الكثير على التعليم والصحة وصادر الكثير من القوانين المتقدمة غير ان الابعاد الثقافية لهذه الانجازات لم تكن موازية لمداخلاتها على نحو مرض ، وعلية ان البعد الثقافي للتمكين يجب ايلاهه الاهمية بوصفه تحدياً لتقافة التمييز واللامساواة ، وهذا يعني التأكيد على تنمية قدرة فهم الذات واستيعاب

حقوقها وامكانية الحوار الدفاعي عنها بالشكل الذي يلهم المجتمع كله مبدأ احترام حقوق الناس نساءً ورجالاً وفي اي مكان (43) .

وعلى ما تقدم فان تمكين المرأة مسألة معقدة لا يمكن حصرها بالتمثيل البرلماني او المحلي وقد اشار الجدول المتقدم على ارتفاع نسبة مشاركة المرأة العراقية في البرلمان والبالغة (0.27% من المقاعد البرلمانية) وقد اسهم هذا الى حد كبير في رفع مستوى مقياس تمكين المرأة ، ان هذا الارتفاع لا يعكس بالضرورة واقع حال المرأة العراقية ، وعموماً فان الاوضاع المضطربة في العراق منذ عقد الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين بسبب الحروب والحصار والاحتلال وما اعقبه من حالة انهيار الدولة بمؤسساتها بمعنى عدم الاستقرار السياسي وتراجع النشاط الاقتصادي وتصعد الهياكل الاجتماعية كل هذا كان له اثار اشد على النساء لتتفاقم بذلك اوضاعهن المتدنية اصلاً في المجتمع وفي عملية التنمية .ولما كان تمكين جميع النساء هو الغاية القصوى كما هو الوسيلة فلا بد اذا من ان تتحمل الدولة اعباء التمكين وعدم التمييز وحماية النساء ، وان ما تم اكتسابه من مزايا مؤسسية خلال المرحلة الانتقالية وهو التمثيل البرلماني يجب ان لا تركز اليه النساء بوصفه انجازاً نهائياً لأنه مكتسب تشريعي سيفقد مضمونه ما لم تحميه وترعاه حركة نسوية فاعلة تناصر تمكين المرأة وحيال هذا بلا شك فان امام المرأة العراقية طريق وعر وطويل .

الخاتمة

- 1- اتضح من البحث ان المرأة في المجتمع العراقي لا زالت تواجه صعوبات ومعوقات كبيرة في الحصول على حقوقها ومكانتها الاجتماعية.
- 2- تبين من البحث ان الجهود المبذولة في تمكين المرأة في المجتمع العراقي لم تكن بالمستوى المطلوب والعقلية الذكورية هي السائدة في التحكم في معظم الامور .
- 3- اتضح من البحث ان دور الامم المتحدة دور ايجابياً واسهم الى حد كبير في تحسين واقع المرأة نحو الاحسن سواء على المستوى السياسي او الاقتصادي او الاجتماعي.
- 4- اتضح من البحث ان نسبة مشاركة المرأة في الحكومة لا زالت ضعيفة ، ولاسيما في الجانب السياسي فأن تمثيلها محدود جدا بمواقع بسيطة لا ترتقي الى مكانتها الحقيقية.

(43) التقرير الوطني لحال التنمية البشرية في العراق لعام (2008 م) ، مصدر سابق ، ص 152 .

5- اتضح ان تمثيل المرأة في البرلمان العراقي بنسبة (27%) اسهم الى حد كبير في رفع مستوى مقياس تمكين المرأة العراقية.

6- اتضح من البحث ان هناك جهود في معظم مكونات المجتمع لدعم المرأة صحياً واقتصادياً وسياسياً لكنها تواجه ببعض العقبات التي يسعى البعض الى ترسيخها والتعصب لها.

7- اتضح من البحث ان المرأة العراقية تحتاج الى تمكين عام يشمل التنمية الشاملة بكل مفاصلها على المستويات المختلفة (كالصحة والتعليم والرعاية الاجتماعية والسكن والجانب الاقتصادي).

التوصيات

1- ضرورة تبني الحكومة لمشروع ثقافي بأسم (ميثاق التمكين) يستهدف تطوير قدرات النساء لتبوء مراكز قيادية وفي مجال التنمية البشرية وصناعة القرار من اجل تحقيق تكافؤ الفرص وتحقيق العدالة والمساواة في المجتمع منطلقاً من أن المرأة محرك تنموي وجزء اساسي في عملية الحراك الاجتماعي وفي تحقيق التطور الاقتصادي.

2- قيام مؤسسات الدولة واجهزتها المختلفة في كل حقل تخصصها العمل على صياغة مسار تنموي تعليمي تربوي وبرنامج عمل اجتماعي تدريبي مهني يسعى الى تقليص الفجوات بين النساء والرجال وتحجيم مجالات تهميش النساء وفتح افق جديدة لتعبئة قدرات النساء على ارض الواقع.

3- تعديل مفهوم (الكوتا) بما يتناسب ووجوب شموليته على مفهوم النوع الاجتماعي (Gender) بتضمينه اشارات الى ان مبدأ النوع الاجتماعي في نظام الكوتا يعتمد على اساس الكفاية والمقدرة والثقافة وسعة الاطلاع بدلا من الاعتماد على عناصر وخيارات الجنس فقط(ذكور - اناث).

4- اعادة النظر في برامج محو الامية والبرامج الثقافية والتربوية بشكل عام، فالأمية اليوم لا تعني جهل القراءة والكتابة وحسب، بل يشمل الجهل في استعمال وسائل الاتصال الحديثة والتقنيات المعاصرة، ومن هنا تتطرق الحاجة الى تعديل برامج التعليم عموماً وبرامج الامية على وجه الخصوص.

5- تعميم تطبيق الاعتماد على نظام الكوتا في كل المجالات والمؤسسات السياسية والادارية والاقتصادية بقصد رفع التمثيل النسوي في مواقع صناعة القرار.

6- دعم المنظمات والجمعيات النسوية ومؤسسات المجتمع المدني التي تعني بشؤون النساء ، ولاسيما تلك التي تنصب اهتماماتها في مجالات تمكين المرأة من صناعة القرار .